Arabic Language & Literature **https:// journals.ut.ac.ir/**
Vol. 18, No. 3, Autumn 2022 **Print ISSN: 1735-9767**
Manuscript Type: Research Article **Online ISSN: 2423-6187**
DOI: 10.22059/jal-lq.2022.332937.1216

Analysis of the forms of confronting colonialism among Iranian and Syrian poets - Mohammad Taqi Bahar and Badawi Al Jabal as a model

Qudratullah Taheri[1*], Abo Alfadl Rezayi[2], Haidar Haidar[3]

1. Assistant Professor, Department of Persian Language and Literature, Faculty of Letters and Human Sciences, Shahid Beheshti University, Iran
2. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Shahid Beheshti University, Iran
3. PhD Student, Department of Persian Language and Literature, Faculty of Letters and Human Sciences, Shahid Beheshti University, Iran

(Received: December,12, 2021; Accepted: June,15, 2022)

Abstract
The issue of colonialism[1] gained a large part of the intellectual space among the colonized eastern people and among the poets who were always the intellectual instigator of the revolution and the supporter of movements for change. With the different forms and methods of colonialism, the poets had their different methods in confronting this phenomenon. This study attempts to monitor the Iranian and Syrian poets' confrontation with the phenomenon of colonialism, and takes from the Iranian poet Mohammad Taqi Bahar and the Syrian poet Badawi Al Jabal as two examples. This study follows the analytical, descriptive and historical method. Among the expected results of this study, we find that there is a great convergence in the intellectual orientation of the poets, in giving priority to the issue of confronting colonialism, showing its negative aspects, and calling for new concepts, the most important of which are freedom, advancement and union, and spreading the culture of the state and people's rights. However, each poet has his own peculiarity and style that differs from the other. Bahar relied on his confrontation on the direct and frank method, in a clear and detailed language, and with a high linguistic intensification, relying on the color of modern poetry and the freedom it offers of clarification and expression. While Al Badawi moved between the direct and indirect poetic style within the classical poetry method, adhering to its conditions, focusing on the poetry of the text with its rhythmic, rhyme and music.

Keywords
confrontation, colonialism, resistance, Mohammad Taqi Bahar, Badawi Al Jabal, Syria, Iran.

---

* **Corresponding Author, Email:** Gh_Taheri@sbu.ac.ir
1. The authors would like to acknowledge the financial support of Iran's National Elites Foundation.

مجلة اللغة العربية وآدابها
السنة ١٨ ، العدد ٣ ، الخريف ٢٠٢٢م
صفحة ٣٢٩ - ٣٤٩ (مقالة محكمة)

Print ISSN: 1735-9767
Online ISSN: 2423-6187
https://jal-lq.ut.ac.ir/

تحليل أساليب مواجهة الاستعمار لدى الشعراء الإيرانيين والسوريين ، "محمد تقي بهار" و"بدوي الجبل" أنموذجاً

قدرت الله طاهري[١*]، أبو الفضل رضايي[٢]، حيدر حيدر[٣]

١. *أستاذ مساعد بقسم اللغة والأدب الفارسي في جامعة الشهيد بهشتي ، طهران ، إيران*
٢. *أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية وآدابها في جامعة الشهيد بهشتي ، طهران ، إيران*
٣. *طالب دكتوراه بقسم اللغة والأدب الفارسي في جامعة الشهيد بهشتي ، طهران ، إيران*

(تأريخ الاستلام: ٢٠٢١/١٢/١٢. تأريخ القبول: ٢٠٢٢/٠٦/١٥)

الملخّص

نالت قضيّة الإستعمار حيّزاً كبيراً من الفضاء الفكّري لدى شعوب الشّرق المستعمَر ، ولدى الشّعراء الذين كانوا على الدّوام المحرّضين للثّورة من النّاحـ ة الفكريّة والدّاعمين لحركات التغيير. وباختلاف شكل الاستعمار وأساليبه ، كان للشّعراء أساليبهم المختلفة في مواجهة هذه الظاهرة. تحاول هذه الدراسة رصد مواجهة الشّعراء الإيرانيين والسّوريين لظاهرة الاستعمار ، وتتّخذ من الشّاعر الإيراني محمد تقي بهار ، والشاّعر السوري بدوي الجبل أنموذجين ، وتتّبع هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، ضمن المدرسة الامريكية في الأدب المقارن. ومن النّتائج المتوخّاة من هذه الدّراسة ، نجد أنّ هناك تقارباً كبيراً في التوجّه الفكري لدى الشّاعرين ، في إعطاء الأولوية لمسألة مواجهة الاستعمار ، وإظهار سلبياته ، والتحريض ضدّه ، ورفض سلبية الجماهير ، ونشر ثقافة الدّولة وحقوق الشعب. إلا أنّه يبقى لكل شاعر خصوصيته وأسلوبه المتميّز الذي يختلف به عن الآخر ، فالشّاعر" بهار" اعتمد في مواجهته على الأسلوب المباشر الصريح ، بلغةٍ مُفصلّة واضحة ، وبتكثيفٍ لغويٍّ عالٍ ، متّكئاً على لون الشّعر الحديث وما يقدّمه من حرّية في التّوضيح والتّعبير. بينما اتكأ "بدوي"على منهج الشعر الكلاسيكي ، ملتزماً شروطه؛ مركّزاً على شعرية النّص بوزنه وقافيته وموسيقاه.

الكلمات الرئيسة

استعمار ، أدب المقاومة ، إيران ، سورية ، محمد تقي بهار ، بدوي الجبل.

* الكاتب المسؤول
Email: Gh_Taheri@sbu.ac.ir

المقدمة

استطاعت القوى الإستعمارية أن تتسلَّمَ زمام الأمور في بلدان المشرق لفترة طويلة من الزّمن ، مغيّرة في جغرافيا دوله ، ومؤثّرة بثقافته وعاداته وتقاليده ، فلم يكن حضورها في الشّرق عابراً ، بل كان أثر الاستعمار ظاهراً في مُختلف أروقة الحياة ، من السّياسة والاقتصاد إلى المجتمع والثّقافة ، وربّما لا نستطيع أن نُنكر أن الواقع الذي نعيشه اليوم في بلدان المشرق ، هو نتاج للحضور الاستعماري خلال القرن العشرين. وما توصل إليه الاستعمار فيما بعد ، يؤكد أنه لم يقف عند الحدود السّياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة ، إنما تَعدّاها ليدخل في الحيّز الفكري ، والثّقافي ، والاجتماعي ، للشعوب المُستعمرَة ، ليتبلور فيما بعد ويصبح استعماراً ثقافيّاً وفكريّاً وإيديولوجيّاً. والأدب منذ تكوينه مرتبطٌ بالواقع؛ فهو لسانه الناطق به. ولم يستطع الأديب أيضاً أن ينفصمَ عن قضايا وطنه ، فمصيره مرتبطٌ بمصير الجماعة التي ينتمي إليها ، وأدبه مجسّدٌ لهمومهم وكفاحاتهم ، وبهذا كان دوماً المرهص للفكر الثوري ، والدّاعم لحركة التغيير. من هنا كان لأدب المواجهة أثرٌ كبيرٌ في تأسيس خطاب معرفيٍّ تصادميّ مع البنية الثّقافية للاستعمار ، بما ينتجه من نصوص «مُقَاوِمَة» ثوريّة تهدف لخلخلة البنية القهريّة التي فرضها المستعمرون ، «وعلى اعتبار أنّ اللّغة التي تُعدُّ عماد الأدب ليست محايدةً ، بل مشبعةٌ بالأيديولوجيا ، فهي تصطبغ بالأطر المعرفيّة والاجتماعيّة للأفراد. فالكلمة فعل تحريضي ضد الآخر من أجل إعلاء الذات؛ فرديّة كانت أم جماعيّة ، وهذا من شأنه أن يحدث التغيير ويشعل الثّورات. ولأنّ الكتابة هي عملية هدم وبناء فيمكنُ اعتبار نصوص الأدب المقاوم على أنها خطابات تتجاوز مفهوم انتقاد الواقع ، متى ما تحرّرت من الصّوت الأيديولوجي ، ولامست جوهر القضيّة بطريقة فنيّة» (أبو العمرين ، ٢٠١٨م:٤). فكلُّ نصٍّ أدبيّ ، على حد تعبير أدونيس ، «هو بمثابة حربٍ أو هجوم؛ فإذا كانت مهمةُ المقاومةِ أن تفجّرَ الواقع السياسي والاقتصادي وتغيّره ، فإنَّ مهمّة الشّاعر الثوري هي أن يفجّر نظام اللّغة (الثّقافة — القيم) السّائد ويغيّره» (أدونيس ، ١٩٩٦م: ١٠٢-١٠٣).

مسألة البحث

تسعى هذه الدّراسة إلى المقارنة بين أساليب مواجهة الإستعمار لدى الشّاعرين الإيراني "محمد تقي بهار" ، والسوري "بدوي الجبل" ، عبر على المنهج الوصفي — التحليلي وضمن المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن ، وتحاول الإجابة على عدّة أسئلة محورية ، أهمها؛ هل أدرك الشعراء في إيران وسورية خطط الإستعمار؟ وهل كانوا على دراية بمخاطرها؟ وما هي

الأساليب التي اتبعوها في مواجهته؟ وعلى اعتبار أن الوجود الاستعماري في البلدين كان متبايناً ، ما هي أوجه التشابه وأشكال الاختلاف في أساليب مواجهتهم لهذه الظاهرة؟. وقد تم اختيار هذين الشاعرين بالذات ، لكونهما يمثّلان نموذجاً معروفاً في بلديهما للنضال الوطني في مواجهة الاستعمار ، والدعوة للحفاظ على الحقوق الوطنية ، وشعرهما خيرُ مثالٍ على توظيف الأدب في خدمة القضايا الوطنية.

أهمية البحث

تأتي أهمية هذه الدراسة من حيث أنها تحاول الكشف عن الدور الذي لعبه التيار الأدبي ، وخصوصاً الشعراء الذين كانوا يمثّلون النخبة الثقافية في إيران وسوريا ، في مواجهة الاستعمار ، وحفظ الانتماء والهويّة الوطنية ، بالإضافة إلى الاطّلاع على أساليبهم في مواجهة هذه الظاهرة ، مع الأخذ بعين الاعتبار لتباين التجربة الاستعمارية في البلدين.

خلفية البحث

يوجد العديد من الدّراسات التي تناولت الشعر الوطني المُقاوم والمواجه للاستعمار لدى هذين الشاعرين ، وقد أتت بأشكال مختلفة من كتب ومقالات ورسائل. ومن الدّراسات التي تناولت هذه القضيّة عند الشاعر بهار: مقالة رضا موسى آبادى ، مهدى نوروز وبتول فخر اسلام ، والتي نشرت عام ۱۳۹۷ش ، في مجلّة "دفاع مقدس" ، تحت عنوان «بررسى تطبيقى جلوه هاى استعمار ستيزى در شعر نسيم الشمال ومحمد تقى بهار» وهي دراسة مقارنة حاولت البحث في أساليب مواجهة الاستعمار لدى الشاعرين الإيرانيين "محمد تقي بهار" و"نسيم الشمال" ، مع التركيز على خصوصية أشعار كلّ منهما في مسيرته الوطنية. وهناك مقالة لميلاد شمعي ، ومينو بيطرفان تحت عنوان: «تحليل مفهوم وطن در اشعارملک الشعراى بهار» نشرت عام ۱۳۹۱ش ، في مجلة "مطالعات ملي" ، وقد سعت إلى دراسة مفهوم الوطن في شعر بهار ، وحاولت عرض نقده السّياسي والاجتماعي والثقافي والديني للسلطة والمجتمع الإيراني. وهناك أيضاً مقالة لعلي اصغر بابا سالار وجوليت خضور تحت عنوان «بررسى تطبيقى جلوههاي ملى‌گرايى در شعر شوقى و بهار» نشرت في مجلة "پژوهشگاه علوم انسانى و مطالعات فرهنگى" عام ۱۳۹۳ش ، وهي دراسة مقارنة سعت لعرض جوانب المقاومة في أشعار هذين الشاعرين. ومن الأبحاث التي عالجت هذا الموضوع عند بدوي الجبل ، كتاب عبداللطيف محرز بعنوان «دمشق في ديوان بدوي الجبل» نشر في "مجلة المعرفة" عام ۲۰۰۸م ، حاول الكاتب فيه عرض دور" بدوي الجبل" في مواجهة

الاستعمار والاستبداد بالإضافة إلى انتمائه الوطني ، والبحث في مفهاهيم الهوية والدولة والعاصمة في شعره. وكتاب عبد الهادي هاشم وهاشم عثمان تحت عنوان: «آراء وأنباء بدوي الجبل» ، نُشر في مجلة "مجمع اللغة العربية" في عام ١٩٨٣م ، ويحتوي الكتاب على أفكار و آراء بدوي الجبل حول مجمل القضايا التي تناولها في شعره ، مع التركيز على ما يتعلق منها بالتوجّه الوطني ، وفكره المقاوم. وهناك مقاله لـ علي أصغر باباسالار وجوليت خضور ، تحت عنوان: «جلوه‌های مقاومت در اشعار نصرالله مردانی وبدوی الجبل» ، نُشرت عام ١٣٩١ش ، في مجلة "ادبيات بايداري" وهي دراسة مقارنة سعت لعرض مظاهر المقاومة لدى هذين الشاعرين ، مع التركيز على مفهوم الهوية والانتماء الوطني وتمجيد الوطن والشهداء والصمود في شعريهما.

التدخل الإستعماري في إيران

يعودُ التّدخّل الاستعماريّ في إيران إلى حقبة الملك القاجري ، (فتحعلي شاه) وبعده الملك (وثوق الدولة) من خلال لجوئهما إلى توقيع معاهدات استعماريّة فُرضت عليهما من قِبل (بريطانيا) و(روسيا) ، معاهدات ضمنت للدول المستعمرة السّيطرة على ثروات إيران ، وعلى قرار الدّولة السّياسي والاقتصادي فيها ، وبقيت إيران تحت رحمة هذه المعاهدات بقيّة القرنين التاسع عشر والعشرين. ومنها معاهدتي «غولستان» و«تركمانجاي». في تلك الحقبة خسرت إيران مناطق القوقاز وجورجيا وأرمينيا وبحر قزوين (شعباني ، ١٣٩٠ش: ١٦٨). استمرّ التدخّل الاستعماري في إيران في العصر البهلوي الأوّل والثّاني ، منذ تعيين رضا بهلوي ملكاً عام ١٩٢٥م ، ومن ثم إجباره على التنحّي من قبل إنكلترا وروسيا ، وتسليم ابنه محمد رضا الحكم عام ١٩٤١م ، إلى زمن إسقاط حكومة "محمد مصدق" المنتخبة شعبياً عام ١٩٧٤ ، وإفشال حركة تأميم النّفط ، واستعادة السّيطرة على الثّروات الإيرانية (شاكر ، ١٩٩٥م ، ٢٦) ، ولكن منذ إعلان الثورة الدستورية في إيران عام ١٩٠٥ ، حدث تحوّلٌ اجتماعيٌ كبيرٌ في المجتمع الإيراني؛ إذ تبدلت فيه الأفكار السائدة ، وظهرت تيارات جديدة تُعنى بمفاهيم الحرية والاستقلال ، والسيادة الوطنية ، وحق الشعب بالمشاركة في السلطة. وقد ساهم انفتاح الحكّام والسّياسيين الإيرانيين على الغرب ، وتغلغل الثّقافة الغربية في المجتمع الإيراني ، بتقوية هذا التّيار (مسعودي ، ١٣٨٧ش: ٦٥). وكان لهذا التبدّل أثرُه على الأدب الفارسي المعاصر ، مما سبّب ظهور نهضة أدبية ، كان روّادها أدباء وشعراء التزموا بالقضيّة الوطنيّة ، وقدّموا آثاراً قوامها مواجهة الاستعمار والاستبداد وفضح جرائمهم وجناياتاهم ،

ونتيجة لذلك ظهرت نصوص أدبية مختلفة عن سابقتها. تعبّرُ عن رغبة أهل الشرق في الاستقلال والتّحرر من القهر والاستعمار. (محمدي ، ۱۳۷۲ش: ۱۱۲)

التدخل الاستعماري في سورية

عقب دخول العثمانيين إلى سورية ، شكّلوا في سنة ۱۵۱۸م ولاية الشام العربية في بقعة تمتد حتى "بايبورت" في الأناضول. وأطلقوا عليها اسم ولاية سورية. وعلى الرغم من سعي العثمانيين إلى تطوير وتحصين سورية في آخر مراحل حكمهم لها بعد إدراكهم أهميتها ، غير أن انتشار الوعي الشعبي ، وأثر البعثات التبشيرية على السوريين ، بالإضافة إلى دور جمعية الاتحاد والترقي العنصرية التركية في التضييق على المثقفين وسعيهم لطمس الهوية السورية ، وعثمنة لغتها ، لكنَّ الدور الذي لعبه الفرنسيون والإنكليز ، قوض الجهود التركية الأخيرة ، وقاد إلى حراك شعبي كبير ضد العثمانيين (أبو عزة ، ۱۹۹۷م: ۳۲۲). دفع السوريين إلى الانضمام إلى ما يسمى "الثورة العربية الكبرى" ، والتي انطلقت من الحجاز عام ۱۹۱۵ ، بدعم بريطاني وبقيادة الشريف حسين بن علي. وقدعَلّقَ السوريون آمالهم على الملك فيصل بن الشريف حسين ، الذي كان قد عُيِّنَ ملكاً على سورية ، إلا أن نتائج الحرب العالمية الأولى ۱۹۱٤ — ۱۹۱۸ ، كانت عظيمة الأثر على وضع سورية ، وخصوصاً بتوقيع اتفاقية "سايكس بيكو" في ۱۹۱٦م ، بين فرنسا وإنكلترا ، لتفصل هذه المعاهدة فلسطين والأردن ولبنان عن سورية ، ثم جاء وعد "بلفور" عام ۱۹۱۷ ، مقصيّاً فلسطين عن المركز السوري ، وذلك بالسماح لليهود بإنشاء وطن قومي لهم فيها ، ثم أنشأ لبنان مقتطعاً مناطق كانت تتبع تاريخياً لدمشق ، فتقطعت أوصال "سورية الطبيعية" ، إلى أن أعطاها الملك فيصل أملاً هشّاً بالوحدة بإنشاء حكومة دمشق العربية ، التي حاولت دون جدوى إعادة توحيد المنطقة. إلى أن جاء اتفاق "سان ريمون" عام ۱۹۲۰م لحسم الموضوع ، إذ قسمت سورية الطبيعية إلى منطقتين الأولى تحت الانتداب الفرنسي ، والثانية تحت الانتداب البريطاني ، ثم قسمت الأولى إلى سورية ولبنان ، والثانية إلى فلسطين والأردن. عندها دخلت القوات الفرنسية إلى دمشق واحتلتها بعد معركة "ميسلون "عام ۱۹۲۰. وهنا بدأت حركة النضال العسكري والسياسي والأدبي ضد الفرنسيين ، فتشكلت مجموعات مقاومة كان أبرزها ثورة الشيخ "صالح العلي" في الساحل السوري ، وثورة "ابراهيم هنانو" في حلب وإدلب ، وثورة سليمان باشا الأطرش في السويداء ، تزامن هذا الحراك مع نشاط سياسي أدبي كان رواده شعراء

ومفكري سورية وبقي هذا الحراك متصاعداً حتى تحقق النصر وخرجت القوات الفرنسية من سورية في ١٧ نيسان عام ١٩٤٦م (عدوان، ٢٠١٠م: ١٠٣٤).

(محمد تقي بهار) ١٨٨٦ — ١٩٥١

محمد تقي بهار، شاعر وأديب وصحفي وسياسي إيراني، يعد من فطاحل الشعر الفارسي التقليدي والأستاذ الذي قل نظيره في اللغة والأدب الفارسي. ولد بهار في ٩ كانون الاول عام ١٨٨٦ في مدينة مشهد. كان والده ميرزا كاظم ملك الشعراء صبوري من الخطباء المعروفين في خراسان. في العام ١٩٠٩م انضم بهار إلى الحزب الديمقراطي في خراسان وأسس في العام ذاته صحيفة «نوبهار» وجعلها الناطقة باسم الحزب، لكن حكومة "وثوق الدولة" أصدرت في العام ١٩١١م قراراً بتوقيف الصحيفة. عندما انتخب في العام ١٩١٣م من قبل أهالي "كلات" و"سرخس" ووصل إلى عضوية المجلس، استأنف إصدار صحيفته في طهران، وبنفس الأسلوب والمنهج السياسي، ولكن بعد ذلك بعامين، وعلى أثر الإنذار الذي وجهه الروس، أُوقِفَتْ صحيفةُ «نوبهار» أيضاً. انتُخب بهار في العام ١٩٤٥م رئيساً للمؤتمر الأول للكتّاب الإيرانيين. نشر بهار آخر قصيدة له بعنوان «جغد جنگ» في العام ١٩٥٠م، توفي عام ١٩٥١م في منزله في طهران، ودفن في مقبرة ظهير الدولة. وفضلاً عن ديوان الشعر الذي خلّفه بهار، يعد تصحيح وإصدار نصوص «تاريخ سيستان» و«مجمل التواريخ» وجزء من «جوامع الحكايات» نماذج من سجله الأدبي الثري، بالإضافة إلى كتاب «معرفة الأسلوب» في ثلاثة مجلدات و«مختصر تاريخ الأحزاب السياسية» في مجلدين. (ذوالفقاري، ١٣٨٤ش: ٣)

(بدوي الجبل) ١٩٠٣ — ١٩٨١

محمد سليمان الأحمد، الملقب ببدوي الجبل، ولد في قرية "ديفة"، إحدى قرى محافظة "اللاذقية" في سورية عام ١٩٠٣، والده الشيخ سليمان الأحمد ويتصل نسبه إلى الأمير حسن بن مكزون السنجاري صاحب النسب العلوي الشريف. درس اللغة العربية على يد والده ودرس الابتدائية في قريته، والإعدادية في محافظة اللاذقية في مدرسة "الفرير"، ثمّ التحق بمدرسة مكتب "عنبر" في دمشق، وهناك بدأ ينظم الشعر. عقب الاحتلال الفرنسي لسورية انضمّ بدوي الجبل، رغم صغر سنه، إلى ثورة الشيخ صالح العلي، التي تمركزت في جبال الساحل السوري، كما عمل وسيطاً بينه وبين ملك سورية حينها، فيصل الأول، وفي عام ١٩٢٥، شارك في الثورة السورية الكبرى حيث ترأس مجموعة من الثوار مخصصة للهجوم على نقاط التفتيش التابعة للفرنسيين. تسببت قصائده ضد الفرنسيين، باعتقاله من قبل

القوات الفرنسية ، و حكم عليه بالسجن ٣٠ عاماً ، إلا أن الفرنسيين عادوا عن الحكم تحت الضغط الشعبي. انضمّ إلى الكتلة الوطنية التي طالبت بوحدة واستقلال الأراضي السورية في عام ١٩٤٣م ، وفي العام نفسه تمّ انتخابه كعضو في مجلس الشعب "البرلمان السوري". تمّ تعيينه وزيراً للصحة خلال فترة رئاسة هاشم الأتاسي ، كما تمّ انتخابه وزيراً للدعاية والأنباء بين عامي ١٩٥٥و١٩٥٦ ، أهم أعماله ديوان "البواكير" ، و"الأعمال الكاملة". توفي في دمشق عام ١٩٨١م ، ودفن في قرية السلاطة التابعة لقضاء اللاذقية. (الخطيب ، ١٩٦٢م: ١٣)

الخطاب التحريضي المواجه

وهو خطاب انفعالي عاطفي ، يستهدف الطبقة الأوسع في المجتمع ، يهدف للتأثير المباشر على المستعمر ، من خلال تحفيز الجانب الشعبي المقاوم ، ودعم الحاضنة الشعبية له ، وخلق حركات ارتدادية انفعالية داخل المجتمع في مواجهة المستعمر ، ويعتمد التحريض في الأدب على استدعاء صور تثير غضب المخاطَب ، وتذكيره بمبادئ تجاهلها ، وتضيء جوانب غفل عنها ، مع التركيز على فكرة اللوم على الخنوع مع وجود القدرة والإمكانية على إحداث التغيير.

ومن المعاني البارزة التي نجدها في ش عر" بهار" هي استشعار الخطر المحدق بوطنه إيران ، خطرٌ تجلّى باعتداء الأجانب على الوطن وتهديد استقلاله ووحدة أراضيه ، إذ عاش بهار في عصر التنافس بين القوى الاستعمارية العظمى ، وخاصة روسيا وبريطانيا ، من أجل مصالح أكبر وامتيازات متزايدة. تبلغ لغة الشاعر ذروتها عند الاحتجاج على سيطرة الأجانب على القرار السياسي الوطني ، وتعدّ قصيدة "وطن در خطر" (الوطن في خطر) ، من أبلغ قصائده التي تعبّر فيها عن حسّه الوطني ، واندفاعه المستميت في الدفاع عنه. حاول بهار في هذه القصيدة أن يرسم خطّاً تحذيرياً ولحناً وطنياً من خلال دمج مفهومي "الوطن" و "الخطر" ، ويكرر هذه الجملة في القصيدة اثنتي عشرة مرة. يبدأ الشاعر قصيدته بقوله:

مهرگان آمده و دشت و دمن در خطر است
مرغکان نوحه بر آرید چمن در خطر است
چمن از غلغله ی زاغ و زغن در خطر است
سنبل و سوسن و ریحان و سمن در خطر است
بلبل شیفته‌ی خوب سخن در خطر است
ای وطن خواهان زنهار وطن در خطر است

(بهار، ١٣٥٤: ج١، ٢٠٦)

"جاء مهرجان الخريف وأصبحت السهول والمروج في خطر. غَنِّي يا طيور غناء حزين فالعشب في خطر. العشب في خطر من كثرة الغرباء. السنبل والزنبق والريحان والياسمين في خطر. العندليب العاشق بصوته الجميل في خطر. أيها الوطنيون ، الوطن في خطر.

عمد الشاعر في هذه الابيات إلى تنبيه الشعب الإيراني على الخطر المحدق به ، خطرٌ يهدد الوطن أرضاً وشعباً ، سعياً منه لتحريك الضمير الوطني في مواجهة الاستعمار. من وجهة نظر الشاعر يمثل الخريف بداية حقبة مشؤومة في تاريخ البلاد ، والتي أتت متزامنة مع ازدياد النفوذ الروسي والبريطاني فيها ، وذلك إثر توقيع "معاهدة ١٩٠٧" ، وتقسيم إيران إلى منطقتين تابعة لنفوذهما. وهنا عبّر عن الوطن بالسهول والمروج والعشب ، فهي صورة شديدة الخصوبة والوفرة ، وتنوع الزهور والنباتات فيها ، إشارة على اشتراك جميع أطياف الشعب الإيراني بمختلف اعتقاداته ومذاهبه الدينية والفكرية والسياسية في تكوين هذه اللوحة ، وهنا يحذّر الشاعر من أنّ الخطر محدّق بجميع أركان الوطن من الجغرافيا إلى الطبيعة إلى النسيج الإجتماعي ، وما يملكه من ثروات ، وحماية البلاد من هذا الخطر تتطلب حراكاً شعبياً ويقظة وطنية يقودها أناسٌ وطنيون ، وهنا يضع المسؤولية على كاهل الناس الشرفاء ، فهم من يُعوّل عليهم التحرك والقيام بالثورة. إلى أن يقول:

بذل جان در ره ناموس وطن چیزی نیست
بی وطن خانه و ملک و سرو تن چیزی نیست
بی وطن منطق شیرین و سخن چیزی نیست
بی وطن جان و دل و روح و بدن چیزی نیست
بی وطن جان و دل و روح و بدن در خطر است
ای وطن خواهان زنهار، وطن در خطر است

(بهار، ١٣٥٤: ج١، ٢٠٧)

"إن التضحية بالروح في سبيل الشرف والوطن ليس بشيء. لا قيمة للحياة والبيت و المُلك دون الوطن. لا قيمة للمنطق والكلمات اللطيفة بدون الوطن. فالروح والقلب والنفس والجسد لا شيء بلا وطن. بفقده ستصبح النفس والقلب والروح والجسد في خطر".

يرى بهار أن السبيل الوحيد لإنقاذ الوطن هو ترويج ونشر الفكر الوطني ، وتقديس الهوية الوطنية ، والذود بالروح دفاعاً عنه ، وهذه إشارة إلى ضرورة التحرك المسلح في مواجهة الاستعمار ، وأراد الشاعر أن تكون هذه الحركة مدعومة بروح وطنية عقائدية

باسلة ، ترخص فيها الأرواح في سبيل الوطن ، مذكّراً أن جميع الأشياء الثّمينة في حياة الإنسان تفقد قيمتها عندما يُفتقد الوطن.

أما في سورية ، فيمكن القول: إنّ شكل الحضور الاستعماري المتمثل باحتلال عسكري ، وفرض سلطة استعمارية مطلقة ، جعل مفهوم المواجهة يأخذ شكلاً أكثر حديّة ، بالإضافة إلى أن انخراط بدوي الجبل في العمل الثوري لسنوات طويلة ، دفعه للاعتقاد بأن قضيّة التحرير يجب أن تأخذ الأولوية في توجهه المُقاوم ، الأمر الذي جعله يركّز على المواجهة المسلحة والتحريض على القيام ، من خلال دعوات مباشرة أو غير مباشرة ، من خلال رفض الاستكانة والرضوخ والخنوع ، وضرورة كسر الجمود الذي يعيشه الشعب السوري في مواجهة القوى المعتدية. يقول البدوي:

آمنتُ بالحقدِ يُذْكي مِنْ عَزائمنـا وأبْعَـدَ اللّهُ إشـفاقاً وتَحْنـانـا
ويلَ الشُعوبِ التي لَمْ تَسْقِ من دَمِها ثاراتِها الحُمْـرَ أحقـاداً وأضغانا

(بدوي الجبل:١٩٨٧م ، ٨٠)

سعى البدوي إلى الاعتماد على الموروث الفكري والإيديولوجي العربي من خلال استحضار فكرة الثأر ، وهي فكرة كامنة في اللاوعي العربي ، ولم يكتفِ بهذا الاستحضار ، إنما حمّله من المعاني الصّريحة ما يُمكّنه من التأثير المباشر على المُخاطَب ، من خلال جمع النقائض ، وإحداث صدمة لغويّة بتغيير المألوف الشّعري والأخلاقي المعاصر ، فالحقد أصبح إيجابياً ، والعفو والإشفاق صارا مرفوضين ، فويل لهذا الشعب إن لم يشرب ثأرَه الحاقد الهائج من دمه. وهنا حدّث البدوي المخاطب العربي ، بلغة ثائرة تُحيي فيه فكر الثأر والانتقام ، وهي صورة تستحضر بين طيّاتها صورة أخرى لدى المتلقي ، وهي جرائم المستعمرين وانتهاكاتهم وظلمهم للشعب السوري الذي يستدعي هذا الثأر الشديد ،. من جانب آخر ، لم يتردد البدوي بالإشارة إلى الدماء ولونها الأحمر ، وهي دوالٌ ترفع حدّة الغضب والعنفوان لدى المتلقي وتشعل فيه روح الثورة ، مع الأخذ بعين الاعتبار ، موسيقا النص ، وتراتب الكلمات. لم يجعل البدوي نفسه في أبياته هذه منفصلاً عن المخاطبين ، ولم يكن مخاطبه مفرداً ، إنما كانت الـ "نا الدالة على الفاعلين" تستحوذ على التوجيه الخطابي ، وهنا جعل البدوي نفسه والشعب واحداً ، فهو منهم وهم منه. وفي القصيدة ذاتها يقول:

هلْ في الشآمِ وهلْ في القُدسِ والدةٌ لا تشتكي الثُكل إعْوالاً وإرنانا
شَدَّ الحُسَـينُ على الطغيانِ مُقتحماً فزلزلَ اللّهُ للطغيانِ بُنيانـا
والحقُّ والسيفُ من طَبعٍ ومن نَسَبٍ كلاهُما يتلقَّى الخَطبَ عريانا

سمعتُ باريسَ تشكُو زَهوَ فاتِحـها هلّا تذكرتِ يا باريسُ شكوانا

(بدوي الجبل:١٩٨٧م ، ٨٠)

ينطلق الشاعر في هذه الأبيات من تصويرٍ لما آل بالشام والقدس من قتل ودمار ، في إشارة منه إلى الأمّهات الثكلى اللواتي فقدن أبنائهن من جرّاء القصف الفرنسي على دمشق ، والاعتداء اليهودي على القدس ، فيحرّض على الثورة والنهوض في وجه الطغيان مستعيناً بالمعجم الديني الإسلاميّ ، ومبيّناً فضل الشهادة ، مذكّراً بحادثة استشهاد الإمام الحسين (ع) لتكون مثالاً يحتدى به في مواجهة الظالمين ، ومنطلقاً للحراك الجهادي المسلّح ضد الاستعمار ، إلى أن يصرّح بغايته الأساسيّة وهدفه الأسمى ، وهو أنّ الحق لا يُسترد إلا بالسيف ، وهنا قرن الحقّ بالسيف ، تشجيعاً منه على الحراك المسلح ، داعياً الجماهير للانضمام إلى قوى المقاومة.

الخطاب التنديدي الرافض

يرتبط مفهوم "التنديد" بعدة مفاهيم أخرى ، أهمها "الرفض" ، و"التمرد" و"التشهير" ، و"البحث عن واقع جديد" ، والشاعر مخلوقٌ رافضٌ ، دائم الحركة ، محبّ للتغير وداعٍ له ، من هنا يكون الشعر متّسماً بالقلق ، والسخط والانفعال ، ثم الثورة والرفض.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّه بعد الاطلاع على قصائد الشاعر محمد تقي بهار ، نجد أنه مثّل بشعره أبرز مثال على مواجهة الاستعمار ، والتنديد به ، فقد عدّه أساساً لكل بلاءٍ يصيب الوطن ، والعامل الأكبر في تخلف شعبه ، و وجد أنّه لا يمكن لأمة أن تنعم بالهدوء والاستقرار والتقدم مالم تتحرّر من مستعمريها الأجانب ، وأتباعهم في الداخل ، وبهذا احتلت قصائده السياسية الحيز الأكبر من ديوانه ، وكان لقصائده الموجهة ضد الاستعمار النصيب الأكبر ، على اختلاف أساليبه وخطاباته . فنراه يقول:

ظلمی که انگلیس در این خاک و آب کرد نه بیورس کرد و نه افراسیاب کرد
از جور و ظلم تازی و تاتار درگذشت ظلمی که انگلیس در این خاک و آب کرد
ضحاک خود ز قتل جوانان علاج خواست وان دیگری به کشتن نوذر شتاب کرد
تازی گرفت کشور و آیین نو نهاد چنگیز کشت خلق و خراسان خراب کرد
کرد انگلیس آن همه بیداد و برسری اخلاق ما تباه جگرها کباب کرد

(بهار، ج ١: ٥٥٢)

"الظلم الذي مارسته بريطانيا على هذا البلد ، لم يفعله «بيروس» و«افراسياب». والقهر الذي مارسته بريطانيا على هذا البلد ، كان أكثر من اضطهاد العرب والتتار. كان الضحاك يرى علاجه في قتل الشباب فسارعَ لقتل "نوذر". والعرب احتلوا البلاد وأقاموا ديناً جديداً ، وقتل جنكيز الشعب ودمر خراسان. لكن بريطانيا فوق ذلك كلّه أفسدت أخلاقنا وأحرقت أكبادنا".

عمد الشاعر هنا إلى ذكر البلدان التي اعتدت على إيران في استعراض تاريخي ، واضعاً هذه القوى في مقارنة مع الاستعمار الإنكليزي ، حيث حاول أن يقدّم هنا كلّ معتدٍ بصفة تميّز بها ، فالعرب احتلوا بلاد فارس وغيّروا ديانتها ، والتتار خرّبوا البلاد وقتلوا الناس ، و"الضحّاك" قتل الأطفال بحثاً عن العلاج ، لكنّ الاستعمار الإنكليزي لم يكتفِ بما فعله هؤلاء المعتدين فقط ، وإنما قام شاعرنا بتقديم الاستعمار الانكليزي على أنه أسوأ بمراحل متعددة من المعتدين الذين سبقوه ، حيث قام الانكليز بغزوٍ آيديولوجي إضافة إلى غزوهم العسكري للبلاد ، وهنا يصف بهار اعتداءات الإنكليز التي شملت كل سلبيات الغزاة السّابقين ، مضيفاً إليها ما قاموا به من تدمير ممنهج للبنية الثقافية والأخلاقية للمجتمع الإيراني. وفي معرض حديثه عن الاسعمار الروسي ينشد "بهار" مايلي:

روس با ما جنگ کرد و در گلستان عهد بست
لیک ناگه عهدهای بسته را در هم شکست
حمله بر تبریز کرد و داد جنگی تازه دست
عاقبت در ترکمانچایی ز نو پیمأن ببست
وآن قرار جابرانه همچنان برجای هست
چند شهر از ما گرفت و نام ما را کرد پست

(بهار، ١٣٥٤: ج١، 92).

"حاربنا الروس وعقدوا معنا اتفاقاً في غلستان ، لكنهم كسروا الاتفاقيات فجأة. هاجموا تبريز وأعلنوا حرباً جديدة. في النهاية ، عقدوا معاهدة جديدة في تركمانجاي. وهذا الاتفاق القسري لا يزال ساري المفعول. لقد احتلوا مدننا وشوّهوا اسمنا (خذلونا)".

يهدف الشاعر من خلال نظمه لهذه الابيات إلى إثبات حقيقة أنه لا أمان لمعتدٍ ، فالغدر متأصّل فيه ، وهذا ما أقدمت عليه روسيا عندما خانت بنود معاهدة "غولستان" واجتاحت مدينة تبريز ، لتجبر الإيرانيين على توقيع معاهدة "تركمانجاي". بالطبع سعى الشاعر في هذه الأبيات إلى فضح خطط الاستعمار الروسي ، والتنديد بممارساته ، قاصداً من خلال

ذلك التشهير بالممارسات الاستعمارية ، وتوعية العامة إلى مدى خطورة هذه الممارسات على كيان الدولة الإيرانية ، ثقافةً وشعباً. فترى الشاعر يوضّح مراده من هذه الأبيات في قوله: "وآن قرار جابرانه همچنان برجای هست" (وهذه المعاهدة القسرية لا تزال سارية المفعول) ، إذ توحي هذه العبارة بحالة ترقّب وانتظار ، ربما ترقب الثورة ، أو ترقب قرار السلطات الإيرانية برد الاعتبار وفسخ هذا الاتفاق ، وعودة الحقوق الإيرانية إلى أهلها ، مذكّراً بالذّل الذي تعرض له الشعب الإيراني ، وبالمدن التي سُلبت منه. تُظهر هذه الأبيات أن بهار كان في قلب القضايا السياسية والاجتماعية للمجتمع الإيراني ، وكان على دراية بالمسار التاريخي للتطورات السياسية ، فانطلق منددا بسياسات الاستعمار ، مصوّراً التنافس بين الدول المستعمرة من خلال بياناته المفصّلة لبعض التطورات التاريخية.

و إذا ما بحثنا في قصائد البدوي الوطنيّة ، فإننا نجد أن التنديد عنده شمل اتجاهين أساسيين: الأول هو التنديد بالاستعمار والتشهير به وفضحه من خلال تثبيت جرائمه واعتداءاته على الشعب السوري وتسببه بالدمار والقتل ، والاتجاه الثاني هو التنديد بسلبية الجماهير وقبولهم للذل والهوان ، رافضاً ضعف الجانب الثوري عندهم. نرى أن ثنائية الرفض والتنديد هذه تعمّ معظم قصائده الوطنية. ومن الأساليب البارزة في شعر البدوي أيضاً ، هو استحضار صور يرفضها المتلقي العربي والإسلامي ، وغالباً ما يكون هذا الاستحضار هو تصويرٌ للإعتداء على المقدّسات من قبل الاستعمار ، وفي الجانب المقابل يصوّر ردّة الفعل السلبية عند الجماهير ، محاولة منه لإثارة غضب المُخاطب ، وتحفيزه على القيام ضد الاستعمار. فنراه ينظم الأبيات التالية:

بِطاح القـدس دنّسها مغيـرٌ فهل صـانت كتـائبنا البطـاحا؟
وهـل جبهت بحدّ السيف دعوى كعرض القـوم فـاجرة وقاحا؟
ولـم نغضـب أيـام كـانت حمى نهباً وشعبـاً مُستباحـا
ولا صـدّت سـرايانا عـدواً ولا هـاجمت حقيقتنا كفاحـا

(بدوي الجبل، ١٩٨٧م: ١١٤).

يصرّح الشاعر بمطلوبه في هذه الأبيات من خلال رسم ثنائية تتضمن في جانبها الأول؛ الفعل المُشين المتمثّل باعتداءات الاستعمار الفرنسي من جهة ، وفي جانبها الثاني الاستجابة الخانعة للجماهير العربية ، وهي صورة مخالفة لما هو متوقع في الإرث العربي ، وما يدّعيه من شجاعة وإيثار وحفظٍ للمقدسات. فسعى لفضح جرائم الاستعمار الفرنسي ، والتنديد بسلوكه ، وإلى رفض سلبيةِ الشعب السوري والعربي المتمثّلة بعدم مواجهة الاستعمار والوقوف

في وجهه ، آملاً تصحيح استجابة الشارع العربي على الأحداث المحيطة به ، والقيام بما هو لازم لحماية أرضه وعرضه ومقدّساته. فالقدس مدينة لها قدسيتها عند المسلمين والمسيحيين ، واستباحتها ،أمرٌ مرفوض تماماً لدى شعوب المنطقة. إنَّ استخدام فعل "التدنيس" لمقدس هو أمر بالغ الحساسية ، والتنديد والتشهير بهذا الاعتداء ضروري في مسيرة المواجهة ، وإتباعه بالاستفهام الاستنكاري يحرّك في ضمير المتلقي إحساس الخيبة والرّفض. يقول أيضاً:

و مدلجيــن أضـاء الحــزن ليـلهم حتّـى إذا انطـفأت أحزانهم قعــدوا
حادوا عن المحنة الكبرى و لو صحبوا نيرانها الحمر ما ضلّوا و لا انفردوا

(بدوي الجبل: ١٩٨٧م ، ٢١٧)

تُظهر هذه الأبيات رفض "البدوي "لواقع المجتمع السوري ، وردّة فعله المستسلمة تجاه الأخطار المحدقة به ، والابتعاد عن القضية المصيرية. يبدأ الشاعر قصيدته بقوله: "ومدلجين" والمدلج هو السائر ليلاً ، وهنا يستحضر كل معاني الظلمة والضياع ، إذ يسيرون بلا شعلةٍ تُضيء دربهم ، وفي قوله: "حادوا عن المحنة الكبرى" ، يركّز على مسألة ابتعادهم عن القضية الرئيسية في البلاد ، وهي المواجهة المحتومة مع الغزاة ، لكن الشاعر في هذه الأبيات يضع بوصلة من شأنها تغيير المصير ، وهي الاتحاد والنضال ، فالشعب إنْ اتَّحدَ ولازم الفكر المقاوم؛ لما حاد ولا ضلّ ولا تشتّت ، وسيصل إلى مبتغاه بكل تأكيد. وفي استخدامه لتركيبة "النيران الحمر" كناية عن اشتعال الثورة ، واللون الأحمر بحد ذاته دالٌ على قيام الشّعب وانطلاقه بثورة متوهّجة لا تنطفئ إلى أن يتحقق التحرير.

خطاب التوعية والتوجيه

يُعدّ مفهوم التوعية والتوجيه ، من المفاهيم الأساسية في مواجهة الاستعمار ، ويأخذ هذا الجانب شكلاً أوسع وأشمل من المحورين السابقين للبحث ، إذ حاول الشعراء الوطنيون في كل من إيران وسورية أخذ دورهم الطليعي ، في توعية وتوجيه المجتمع للتسلح بالعلم والمعرفة وترك التخلف ، وتعريف الطبقة الشعبية بحقوقها ، وبخطورة الممارسات الاستعمارية ، وبضرورة تحقيق نهضة فكرية اجتماعية شاملة تضمن استقلال هذين البلدين وحفظ كرامتهما. خصوصاً في الوقت الذي سعت القوى الاستعمارية في الشرق إلى إظهار حضورها بصورة إيجابية ، من خلال استخدام القوة الترويجية الناعمة ، لضمان عدم ظهور أية حركات ارتدادية شعبية مناهضة لوجودها الاستعماري.

وربما نجد أن قصيدة "ايران مال شماست" (إيران لكم) ، خير مثالٍ على هذا التوجّه عند الشاعر بهار ، القصيدة التي كتبها حول قضية التدخل الروسي والبريطاني ، والتنسيق السري بينهما للسيطرة على إيران ، سعياً من لإطلاع الشّعب الإيراني على خطورة الوضع الذي وصلت إليه البلاد مع التدخّل الاستعماري المتزايد ، ويكرّر جملة "إيران مال شماست" ، (إيران لكم) ، ستة عشر مرّة في هذه القصيدة ، سعياً منه لترسيخ الانتماء الوطني ، وعودة ملكية الوطن للشعب ، وتعزيز مفهوم الهوية ، والتأكيد على ضرورة تحرير الوطن وتحقيق الاستقلال. يقول أيضاً في هذه القصيدة:

هـان اى ايرانيان، ايران اندر بلاست
مـلكت داريوش دستخوش نيكلاست
مركز ملک كيـان در دهن اژدهـاست
غيرت اسـلام كو؟ جنبش ملى كجاست
برادران رشيد اين همه سستى چراست
ايران مال شماست ايران مـال شماست

(بهار، ١٣٥٤: ج١، ٢٥٧)

"أيها الإيرانيون! يعم إيران البلاء ، بلاد الملك "داريوس" تحت حكم "نيكولاى" ، أصبحت مركز مملكة الدنيا في فم التنين ، فأين غيرتكم الإسلامية؟ وأين الحركات الوطنية (والانتفاضات الشعبية) ، أيها الاخوة الشجعان لماذا كل هذا الوهن و التواكل ، فإيران لكم ، إيران لكم".

يبدأ الشاعر قصيدته بالتركيز على الإرث الحضاري الإيراني المسلوب ، فملك الملك "داريوس" بيد الأعداء ، ويعيد الشاعر تاريخ الحضارة الإيرانية المُشرق إلى أذهان العامة ، وهنا يسعى إلى تثبيت مسألة "الهوية" الإيرانية المشرقية ، مازجاً بين الحضارة الفارسيّة القديمة ، والحضارة الإسلاميّة ، فجعل الهوية الوطنية مشتملة على هذه الثنائية. وفي هذا الاستحضار رفضاً للتخلي عن الهوية الإيرانية ببعديها القومي والديني ، خصوصاً أمام الهجوم الثقافي والفكري الغربي. إلى قوله:

هــان اى ايرانيــان بينـم محبوسـتان
به پنجــه انگليـس به چنـگل روسـتان
گـويى در ايـن ميـان گـرفته كابوسـتان
كز دو طـرف مى‌برند ثـروت و ناموسـتان

در ره ناموس و مال، کوشش کردن رواست
ایران مال شماست، ایران مال شماست

(بهار، ١٣٥٤: ج١، ٢٥٨)

"أيها الإيرانيون أراكم محاصرين بين قبضة الإنكليز ، ودبوس الروس ، وثروتكم وشرفكم يسرق من هنا وهناك ، إيران لكم ، إيران لكم".

في هذه الأبيات يذكر الاستعمار الانكليزي والروسي بشكل صريح ، إدراكاً منه بأهمية تكوين رأي عام معادٍ للفكر الاستعماري التي تروجه هاتين الدولتين ، ولم يكتفِ بالتركيز على الحقوق المادّية المسلوبة فقط ، إنما أشار إلى "ناموس" الأمة المسلوب ، وفي هذه الكلمة إشارة إلى الهوية والشرف الإيراني المسلوبين ، تركيزاً منه على الخطر المعنوي التي يتربّص بالأمّة وبثقافتها. في هذه الأبيات نرى أن بهار وضع مسألة توعية الشارع الإيراني وتوجيهه على سلّم أولوياته ، فأخذ يفصّل في دقائق الأمور ، ويُطلع مُخاطبه على حقائق الأحداث التي تدور حوله ، بالإضافة إلى أنه سعى إلى تثبيت عدة حقائق رئيسية في التوجه الوطني ، كثنائية الهوية الإيرانية ببعديها الفارسي والإسلامي ، وتثبيت ملكية الشعب للدولة ، وإعلاء شأن مفهوم الحرية ، وضرورة تحقيق الاستقلال.

بينما نجد أن الجانب الأبرز عند البدوي في سعيه إلى التوعية والتوجيه ، هو إدراكه لأهمية تحقيق نهضة علميّة وفكريّة ، في مسيرة المواجهة لتحقيق أهداف الامة بالتحرر والاستقلال ، وهنا لا ننفي إدراك بهار لهذا الجانب ، إنما ركّزنا في بحثنا على الجوانب الأبرز عند الشاعرين ، فلم يخض البدوي بسرد تفاصيل خطط الاستعمار كما قام بهار ، بل كان اهتمامه متركّزاً على الدعوة لتحقيق نهضة علمية وفكرية ، وإيمانه أن الجّهل والتّخلف يشكّلان أرضيّة خصبة لوجود المستعمرين ، وكلما زاد المستوى الفكري والعلمي لدى الشعوب انحسرت قدرة المستعمرين. يقول البدوي:

الـدَّهرُ ملك العبقريّة وحدهـا لا مـلك جبّـار ولا سـفّاح
والكون في أسـراره وكنوزه للفكر لا للـوغى ولا لسـلاح
لا تصـلحُ الدُّنيا وَيصلحُ أمرها إلّا بِفكرٍ كالشّعاعِ صـراحُ

(بدوي الجبل ، ١٩٨٧م: ٢٠٨).

آمن البدوي أن تحقيق نهضة علمية وفكرية من أنجع الطرق في مواجهة الاستعمار ، ولا تتم عمارة البلاد إلا بتحقيق هذه النهضة ، وهنا يعمد البدوي إلى إغناء الثورة بخلفية فكرية علمية ، تصونها وتكفل استمراريتها ، وتؤسس لمرحلة ما بعد الاستعمار. يستحضر

الشاعر في أبياته هذه صورة النقيض السلبي، عند قوله: «لا ملك جبار وسفاح»، وهذه الصورة تحمل في طيّاتها كل معاني الجهل والتخلّف، وما يرافقهما من استبدادٍ يفرضه الحضور الاستعماري. يحدد الشاعر في هذه الأبيات مستقبل البلاد المنشود، رافضاً فيه للخطاب الاستعماري الإجرامي، ومروّجاً لخطابٍ نهضوي تقدمي بديل، يكون بدوره كفيلاً بالتأسيس لمستقبلٍ مُشرقٍ، يضمن استقلال الأمة وتحررها من جهة، وتحقيق نهضة شاملة من جهةٍ أخرى. يقول في موضع آخر:

مَرْحَى لِناشئةِ الشآم مَرحبا بالنشئ إنْ عَثرتْ أقالَ عِثارَها
الناهضين ليمنعوا ميراثها ويجددوا عليـاءها وفخارها
أسْهرتُمُ جفنَ العدوِّ وَ رحتم ندمـان كل فضيلة سمارها

(بدوي الجبل، ١٩٨٧م: ٥٢٣).

يصرّح الشاعر بمطلوبه في هذه الأبيات من خلال الإشارة إلى أثر أصحاب الفكر على العدوّ المستعمر، فوجودهم أقلق العدو، فهم من يقودون حركة البناء، ويعيدون للبلاد قوتها. والنشئ المتعلم، هو من يضمن إخراج البلاد من محنتها، بقوله: "بالنشء إن عثرت أقال عثارها". سعى البدوي في هذه الأبيات إلى رسم خطٍّ مقاومٍ آخر، يدعم من خلاله الفكر المقاوم، وهو الخط النهضوي، وهنا حاول أن يوجه الشعب السوري، ويلفت نظره إلى ضرورة إرفاق الثورة المسلحة بثورة فكرية، علمية وثقافية، تضمن إخراج المجتمع السوري من ظلماته، وتضعه في مكانه الطبيعي بين الشعوب المُتقدمة، مع التأكيد على فكرة أن الخلاص لن يتم إلا بتحقيق هذه النهضة الشاملة.

الخاتمة

كان لاختلاف شكل الإستعمار، والظروف السياسية في إيران وسورية دورٌ كبيرٌ في هيكلة أشكال مواجهة الاستعمار في البلدين، مما انعكس على شكل المواجهة الأدبية، وأعطى لكل شاعر أسلوباً مختلفاً في معالجة هذه الظاهرة.

وجود هيكلية، وكيان دولة في إيران، وشكل الحضور الاستعماري المتمثل بفرض معاهدات واتفاقيات من قبل المستعمرين، مع تدخل عسكري محدود، دفع "محمد تقي بهار" إلى وضع قضية تثقيف الشارع الإيراني من خلال فضح خطط وأساليب وسلوكيات المستعمرين، على سلّم أولوياته. فسعى إلى إطلاع الشعب على حقوقهم المسلوبة، وعمد إلى إطلاعهم على تفاصيل المؤامرات التي تُحاك ضدّهم، واضعاً الاستقلال هدفاً وشرطاً لازماً

لتحقيق آمال الأمة. فعمد إلى تقديم ذلك بلغة بسيطة، معتمداً على عرض منطقي، يصل به لأكبر طبقة من الشعب الإيراني. أما الاحتلال العسكري الفرنسي لسورية، ومحاولته طمسَ مفهوم الدولة، وانغماس "بدوي الجبل" بالعمل الثوري إلى جانب العمل السياسي، وغلبة التخلف على الشارع السوري آنذاك، دفعه للتحرك بشكل مختلف، فكانت الدعوة للثورة المسلحة على سلّم أولوياته؛ من خلال فضح الاستعمار، والتحريض ضده، والعمل على الحفاظ على مفهوم الدولة من خلال الدعوات الوحدوية، ونبذ التفرقة والطائفية والتقسيم، مركّزاً على الخطاب النهضوي في سعيه التوجيهي، إدراكاً منه لأهمية تحقيق نهضة علمية — فكرية شاملة في مسيرة المواجهة، وتحقيق الاستقلال.

من الناحية اللغوية؛ مع الأخذ بعين الاعتبار أن كل شاعر يتكلم بلغة مختلفة عن الآخر، كان "بهار" أكثر وضوحاً، وفق تسلسل وعرض منطقي للأحداث ولنتائجها، وإلى ما يجب عليه أن يكون، فأعطى الأولوية للمعنى والرسالة المراد توجيهها، على شعرية النص. بينما لم يفرّط بدوي الجبل بشعرية النص، وقدّمها على المحتوى والرسالة، سعياً منه الحفاظ على المستوى الراقي لشعره الكلاسيكي المحكم. وهنا ربما كان لنوع السبك الشعري الذي اتخذه بهار دوراً في إعطائه حرية ومرونة في العرض والتقديم والتوضيح، بينما قُيّد البدوي بشعره الكلاسيكي المحكم، وبقواعد أكثر صرامة من الشعر الحديث.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف، نجد أن هناك نقاط تشابه ليست بقليلةٍ لدى الشاعرين: أولاً: إدراكهما الدقيق لخطورة الاستعمار، والانطلاق بحركات مواجهة متناسبة مع البلد الذي ينتمي إليه كلّ منهما، كالعمل على مواجهة الحركات التقسيمية، والتركيز على خطاب وحدوي، وتعزيز فكرة الانتماء للوطن. ثانياً: كلا الشاعرين حاول فضح الاستعمار، والتحريض عليه، والدعوة للوقوف في وجهه، وكلاهما نبذا الرضوخ للاستعمار والخنوع له. ثالثاً: الشاعران أدركا أهمية الخطاب التوجيهي التوعوي، فانطلقا بخطاب سعى لتنبيه الجماهير على خطورة الاستعمار، وَعَمَدا إلى تعريفهم بحقوقهم وواجباتهم الوطنية، مع الإصرار على أهمّية تحقيق نهضة علمية تضمن تقدّم البلاد وتحرّره.

قائمة المصادر والمراجع:

أ ـ الكتب

الأحمد ، محمد سليمان (بدوي الجبل) ، ديوان أشعار ، طبعة دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٨م.

الأحمد ، محمد سليمان (بدوي الجبل) ، ديوان أشعار ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سورية ، ٢٠١٦م.

أبو عزة ، محمد ، عصر السلطان عبد الحميد ، وقائع عصره تفاصيل عهده ، إدارته وسياسته ، أسرار وخفايا قصور بني عثمان ، دمشق: دار المناره. ١٩٩٧م

أدونيس ، زمن الشعر ، بيروت: دار العودة ، ١٩٩٦م.

الخطيب ، محمد ، بدوي الجبل حياته وشعره ، مطابع ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٦٢م.

بدوي ، أحمد زكي ، معجم المصطلحات السياسية والدولية ، دار الكتب المصرية ، مصر القاهرة ، ١٩٨٩م.

بهار، محمد تقي، ديوان أشعار، طهران: مؤسسه انتشارات نگاه. ١٣٨٢ش.

بهار، محمد تقي، ديوان أشعار، طهران: توس، ج١، ج٢، ١٣٨٠ش.

الخير ، هاني ، بدوي الجبل عملاق الكلاسيكية المعاصرة ، دمشق: دار رسلان ، ٢٠١٤م.

زعيتر ، أكرم ، إخاء أربعين سنة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧م.

شاكر ، محمود ، التاريخ الإسلامي ، التاريخ المعاصر ، إيران وأفغانستان ، لبنان: المكتب الإسلامي ، ١٩٩٥م.

شرتح ، عصام ، ظواهر أسلوبية في شهر بدوي الجبل ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق: ٢٠٠٥.

شعبانى، رضا، مبانى تاريخ اجتماعى ايران، چ سيزدهم، تهران: نشر قوس، ١٣٩٠هـ.ش.

شميم، على اصغر، ايران در دوره سلطنت قاجار، قرن سيزدهم ونيمه اول قرن چهارم هجرى قمرى، چ دووم، تهران: نشر بهزاد، ١٣٨٧هـ.ش.

سعيد ، ادوارد ، الاستشراق المفاهيم الغربية للشرق ، ترجمة د. محمد عنابي ، القاهرة: رؤية للتوزيع والنشر ، ٢٠٠٦م.

القنطار ، سيف الدين ، بدوي الجبل دراسة في حياته وشعره ، دمشق: منشورات وزارة الثقافة ، ٢٠٠٠م.

محمد عوض ، عبد العزيز ، الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ — ١٩١٤ م ، القاهرة: دار المعارف بمصر ، ١٩٦٧ م.

نصار ، عزيز ، بدوي الجبل ذاكرة الوطن والأمة ، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب. ٢٠١٣م

يرواند، آبراهاميان، ايران بين دو انقلاب، ترجمه احمد گل محمدى، ومحمج ابراهيم فتاحى، نشر نى، چاپ يازدهم، ١٣٨٤ش تهران.

ب. الرّسائل

فروجي ، رابح ، التجربة الشعرية في شعر البدوي ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه ، جامعة سطيف ، الجزائر ، إشراف محمد عزوي ، ٢٠١١م.

محمد عوض ، عبد العزيز ، الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٢ — ١٩١٤ ، رسالة لنيل درجة الماجستير ، جامعة عين شمس ، القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦٩م.

ج. المقالات

آبادي، رضی موسی، ومهدي نوروزي وبتول فخر اسلام، بررسی تطبیقی جلوه‌های استعمار ستیزی در شعر نسیم الشمال ومحمد تقی بهار، دو فصل نامه ادبیات دفاع مقدس، دانشگاه شاهد، دوره ۲، شماره ۱، بهار وتابستان ۱۳۹۷.

امین مقدس، ابو الحسن، وصابره سیاوشی، بررسی تطبیقی جلوه های ملی گرایی در شعر شوقی وبهار، پژوهشگاه علوم انسانی ومطالعات فرهنگی، سال چهارم، شماره دوم، تاستان ۱۳۹۳ هـ.ش، ۱ — ۲۹.

زارع، غلامعلی، دولت استعماری انگلیس در آیینه شعر معاصر فارسی، فصلنامه مطالعات تاریخی ۱۳۸۷ شماره ۲۲،

زركوب، منصوره، مكافحة الاستعمار في مرآة الشعر العربي "عصر النهضة" ، مجلة العلوم الانسانية ، جامعة اصفهان ، بي تا ، ٣٠ — ٤٢.

عبشي ، نزار ، الانزياح وفضاءات الصورة البلاغية في شعر بدوي الجبل ، مجلة جامعة البعث ، المجلد ٣٨ ، العدد ١٢ ، ٢٠١٦.

عبیدی نیا، محمدامیر، نگاهی به مسأله استعمار در اشعار مهدی اخوان ثالث ومفدی ذکریا، پژوهشنامه نقد ادب عربی، شماره ۱۰،(۶-۶۸)، ۱۳۹۴ هـ.ش.

مسعودی، حمید، سایه استعمار و استبداد بر فرهنگ ایران عصر پهلوی، ماهنامه زمانه، شماره ۷۵-۷۶، ۱۹۸۷.

موسی آبادي، رضا، ودیگران، استعمار ستیزی بن‌مایه اصلی شعر محمد تقی بهار یگانه شاعر خراسان در عصر مشروطه، فصلنامه علمی – ترویجی مطالعات فرهنگی – اجتماعی خراسان. سال/۱۲/ش۲/ زمستان ۱۳۹۶ ش.

The Sources and References

Books

Al-Ahmad, Muhammad Suleiman (Bedouin al-Jabal); poetry office; Beirut: Dar al-Awda, 1978.

Al-Ahmad, Muhammad Suleiman (Bedouin al-Jabal); poetry office; Damascus: Publications of the Syrian General Book Organization, 2016.

Abu Azza, Muhammad; The era of Sultan Abdul Hamid, the facts of his time, the details of his reign, his administration and his policies, the secrets and mysteries of the palaces of Bani Othman; Damascus: Al-Manara House. 1997 AD.

Adonis, poetry time; Beirut: Dar Al-Awda, 1996.

Ashuri, Darius; political franchise Dawazdham, Tehran: Marwarid, 1358 st.

Al-Khatib, Muhammad; Badawi al-Jabal, his life and poetry; Damascus: Ibn Zaydoun Press, 1962.

Al-Kuntar, Seif al-Din, Badawi al-Jabal, a study of his life and poetry; Damascus: Publications of the Ministry of Culture, 2000 AD.
Badawi, Ahmed Zaki; a dictionary of political and international terms; Cairo: Egyptian Library, 1989.
Bahar, Muhammad Taqi; poetry office , Tehran: Negah, 1382 st.
Bahar, Muhammad Taqi; poetry office; C 1, C 2, Tehran: Tus, 1380 st.
Goodness, Hani; Mountain Bedouin Giant Contemporary Classic; Damascus: Raslan House, 2014.
Mohammadi, Hassan Ali, Contemporary Poetry of Iran as Bahar Ta Shahryar, Tehran: Akhtaran, 1372 st.
Mohamed Awad, Abdel Aziz; The Ottoman administration in the Wilayat of Syria 1864 - 1914 AD; Cairo: Dar Al Maaref in Egypt, 1967 AD.
Nassar, Aziz; Badawi al-Jabal, Memory of the Homeland and the Nation, Damascus: The Syrian General Book Organization, 2013.
Said, Edward; Orientalism Western Concepts of the Orient; Translation by Dr. Mohamed Annabi, Cairo: Vision for Distribution and Publishing, 2006.
Shartah, Issam, Stylistic Phenomena in the Bedouin Month of Al-Jabal, Publications of the Arab Writers Union, Damascus: 2005.
Shamim, Ali Asghar; Iran in the course of Sultan Qajar, the century of Sizdham and Nima, the first century of Chaharm Hijri lunar; Doom, Tehran: Behzad Publishing, 1387 AH.
Yervand, Abrahamian; Iran between two coups; Translated by Ahmad Gul Mohammadi and Muhammad Ibrahim Fatahi, Ch Yazdham, Tehran: Published Ni, 1384 A.D.
Zuaiter, Akram, Fraternity forty Years, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, I 1, 1987 AD.

Theses

Farooji, Rabeh; “The Poetic Experience in the Bedouin Poetry”; Thesis for a PhD, University of Setif, Algeria, supervised by Mohamed Azoui, 2011.
Mohamed Awad, Abdel Aziz; «The Ottoman Administration in the State of Syria 1862 - 1914», a thesis for obtaining a master's degree, Ain Shams University, Cairo: Dar al-Maaref, 1969 AD.

Articles

Abadi, Razi Musa and Mehdi Nowruzi & Fakhr' Al Islam, Batool; "A Comparative Study of the Manifestations of Anti-Colonialism in the Poetry of Nasim Al-Shamal and Mohammad Taqi Bahar"; Two Quarterly Journal of Sacred Defense Literature, Shahed University, Volume 2, Number 1, Spring and Summer 1397.
Amin Muqaddas, Abu Al-Hassan and Sabra Siavashi; "A Comparative Study of the Manifestations of Nationalism in Shoghi and Bahar Poetry"; Institute of Humanities and Cultural Studies, Fourth Year, Issue 2, Summer 2014, 1-29.
Abshi, Nizar; "The revelations and spaces of the rhetorical image in the original poetry of the mountain"; Journal of the Ba'ath University, Volume 38, Number 12, 2016.

Zarkoub, Mansoureh; "The Conquest of Colonialism in the Mirror of Arabic Poetry" The Age of Ennahda" ; Journal of Humanities, Isfahan University, Bita, 30-42.

Masoudi, Hamid; "The shadow of colonialism and tyranny on the culture of Iran in the Pahlavi era"; Zamaneh Monthly, No. 75-76, 1987.

Mazloum, Mohammad; "The Lamentations of Sarab Al-Sarab, the Poems of the Poetry of the Mountains"; Magazine of books in the newspaper, number 98, 4th edition, 2006.

Musa Abadi, Reza et al.; "Anti-colonialism is the main theme of the poetry of Mohammad Taghi Bahar, the only poet of Khorasan in the constitutional era"; Scientific-Promotional Quarterly of Khorasan Cultural-Social Studies. Year / 12 / Sh 2 / Winter 1396

Zolfaghari, Mohsen; "Critique of the originality of style in Persian poetry"; Persian Language and Literature Quarterly, First Year, No. 1, Arak University, Iran, Arak, 2005.